عشقني أولا

ساره الشرقاوي

أبتسم لمظهري بالمرآة بعد الانتهاء من ارتداء ملابسي، التف حول نفسي بسعادة كراقصات الباليه؛ فهم دائمًا ما يقولون بأني اسم على مسمى (جميلة)، وهناك من يقول بأني فاتنة أيضًا لِما أتميز به من قوام ممشوق، وطول فارع، وخصر رفيع، وشعر ناعم وعيون تماثل لون البحر بزرقته؛ فمن يراني يدرك بأن بعائلتي فرع أجنبي.

تلوح علي وجهي ابتسامة عندما أتذكر قولهم ذلك، ولكنهم محقون فوالدة جدتي من أصول تركيه، يقولون بأني نسخة مصغرة منها؛ ورثت عنها عيونها الزرقاء وشعرًا خيوطه كأشعة الشمس، ورغم ذلك لم أتزوج بعد، فقد قاربت على سن الثلاثين وقد تقدم لخطبتي من الرجال ما يكفي لتكوين جيش ولكن لم يصل نصيبي بعد، أتوقف عن التفكير لبضع دقائق وأضع اللمسات الأخيرة من أدوات التجميل؛ فاليوم جاء شاب كالمعتاد لخطبتي ولكني أتسائل، كم من الوقت؟! "

هيا يا جميلة فقد وصل العريس وينتظر قدومك حلوتي " كان ذلك صوت أمي الغالية الواقفة خلفي على عتبة باب غرفتي، رسمت ابتسامة فرحة على شفتي وأنا أرى ملامحها السعيدة ككل مرة يتقدم بها لخطبتي عريس ما ويأتي لزيارتنا بالمنزل.

obeikandl.com

أقول لها ممازحة محاولة أن أبدد التوتر الذي تشعر به وتحاول هي إخفائه بكافة الطرق:

- ما هذا الجمال يا أم جميلة؟! فمن يراك بهذه الصورة وكل تلك الأناقة سيعتقد بأنك العروس وليس أنا.

تحاول والدتي رسم ملامح الجدية، مع علامات العبوس على وجهها وتقترب تجاهي قائلة:

- ألن تكف عن أقوالك تلك أيتها الشقية، هيا فلتتقدمي أمامي؛ فالناس بانتظارنا ولا يصح التأخر عليهم بهذا الشكل.

أسير أمام أمي وعلى وجهي ابتسامة سخرية فأنا على يقينٍ تام بما سيحدث الآن!

أخطو من باب غرفتي، أشعر بذلك الإحساس الدائم الذي يصيبني بتلك الحالة، أشعر بصعوبة بالتنفس بكل خطوة أخطوها تجاه الغرفة التي يجلسون بها، كما أحس بالدماء تغلي بعروقي، والعرق يتصبب من جسدي، وتتسابق قطراته على جسدي كمن يعدو بسباق!

أحاول التماسك بقدر الإمكان، وأدخل الغرفة وأنا أشعر بثقل على كاهلي كوزن الجبال، أنظر إلى ذلك الشاب الذي يجلس علي المقعد المقابل للباب وبيده كأس من العصير، وينظر تجاهي وعلى شفتيه ابتسامة سرعان ما تختفي ،وتتسع عيناه وترتعش أوصاله فيسقط الكأس من يده، وتكسو وجهه ملامح الرعب والخوف الشديد، أبدأ بالعد من رقم واحد حتى عشرة وأنا أبتسم بداخلي، لا أعلم عند أي رقم سيصمد، وعند رقم سبعة أجده ينهض من مكانه مسرعًا ويعدوا وهو

obeikandl.com

يتخبط بالأثاث بطريقه، فتسقط منضدة صغيرة وما عليها أثناء التفافته التي لم تستغرق ثانية من الزمن ليكمل طريقه حتى يصل إلى باب الشقة ليفر هاربًا، وملامح الصدمة والاحراج كالعادة مرتسمه على من أتى معه من تصرف ذويهم بهذا الشكل، وملامح الخيبة والحزن ممتزجة معًا علي وجه أمي وأخي الحبيب أحمد.

أشعر بالراحة تسري بجسدي وأتنفس مرة أخرى بصورة طبيعية بعد فرار ذلك العريس الذي لا أعلم موقعه من منظومة الأعداد، فقد سئمت من العد منذ وقت طويل!

ينصرف أهل ذلك الشاب وهم يتمتمون بكلمات الأسف والاعتذار ويقوم أخي بإيصالهم حتى باب الشقة، ويكسو وجهه الحزن الشديد، أما أمي فتجد أن دموعها وجدت طريقها كالعادة إلى وجنتيها، أربت بيدي على كتفها محاولة أن أواسيها فترفع عيناها إليَّ، لأرى تلك النظرة بعينيها التي لا أعرف أهي نظرة شفقة، أم قهر وانكسار؟!

أتجه إلى غرفتي لأبدل ملابسي أمام المرآة، أراه يبتسم لي قائلًا:

-جميلتي أنتِ لي وحدي، لن يستطع إنس أن يفوز بك أبدًا، فأنا أراقبك منذ أن بدأت أوراقك بالتفتح زهرتي، أراقبك وأنت ترقصين وتلهين و تجربين ملابسك، فلا تعلمين كم أعشق التفافاتك تلك!

أبتسم لكلماته المعسولة تلك التي أسمعها منه دائمًا بعد هروب الشاب المتقدم لخطبتي، أتصنع الحزن حتى يجيب على سؤالي الذي أسأله دائمًا ، ولا أحظى بإجابته قائلة له:

-ألن تقول لي لم يفر هاربًا، كل من يتقدم لخطبتي؟! أسمع صوت قهقهات ضحكته التي أصبحت أعشقها مؤخرًا ليقول:

- لأنهم يروني أنا جميلتي أمامهم وليس أنت!

obeikandl.com